عصر الخلافة الراشدة: القيم الفكرية والحضارية
منهج المؤرخين الإسلاميين في تناول الخلافة الراشدة
(الذهبي نموذجا)

إعداد
إعداد: د. عبد الله لخضر

مقدم لـ
«مؤتمر السابقون الأولون ومكانتهم لدى المسلمين
(الثالث) الخلافة الراشدة
والقيم الفكرية والحضارية»

عناصر الموضوع

- مدخل.
- المبحث الأول: تعريف بمصطلحات عنوان العرض.
- المبحث الثاني: منهج الذهبي في تناول عصر الخلافة الراشدة من خلال كتابه: «تاريخ الإسلام».
- المطلب الأول: كتابه «تاريخ الإسلام» ومنهجه في انتقاء الحوادث والتراجم.
- المطلب الثاني: منهجه في نقل المادة التاريخية ونقدها وعرض الوفيات
- الخاتمة.

مدخل

لقد زخر التاريخ الإسلامي بالأعلام والعظماء الذين تابعوا حوادث الدنيا ومولد الرجال وفنائهم، مع ذكر كثير من أعمالهم وأقوالهم، وكانوا صياغة تلك الحضارة السامقة التي تجلى فيها جمال البناء على هدي وحي السماء، وكان الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ - ١٣٧٤ م)، واحدا من هؤلاء الأفذاذ الذين واكبوا مسيرة الحياة على ذلك الهدى، وأسهموا في رفع صرح تلك الحضارة.

وقد شهد له كل من ترجم له بأن له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر[1].

وبين أيدينا من إنتاجه في التاريخ الإسلامي ما يشهد له برسوخ قدمه وعلو كعبه ....

ولكن الناظر في سيرة هذا العلَم يجد نفسه أمام موسوعة علمية تضم علوما شتى، ولعل آثاره تنبئك عن أخباره.

فإذا أمعنا النظر في الجانب التاريخي عند الذهبي، وجدنا أن إنتاجه يشكل كما لا يستهان به.

فله في هذا المجال مؤلفات قيمة فصل القول في سردها من ترجم له ..

منها: كتاب: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وكتاب: سير أعلام النبلاء، الذي وإن تناول نفس المرحلة التاريخية، التي تناولها كتاب تاريخ الإسلام، فإن فيه إضافات وتوسعة في تراجم الصدر الأول بالإضافة إلى استدراكات وتصحيحات وتصويبات وانتقادات وإعادة التنظيم، ما عدا: السيرة

١ - انظر مقدمة بشار عواد معروف لكتاب تاريخ الإسلام: ١ / ٦٩ - ٧٢.

النبوية الشريفة وسير الخلفاء الراشدين، فإنه لم يُعد صياغتها لـــمّا كان يؤلف كتابه «السير»، وإنما أحال على كتابه العظيم: «تاريخ الإسلام»، ليؤخذا منه ويضما إلى السير.

إذاً يكفي من أراد الاطلاع على عصر الخلافة الراشدة، الرجوع إلى كتاب «تاريخ الإسلام».

وقد أُفرد عصر الخلافة الراشدة بطبعه مستقلا في مجلد تحت اسم: تاريخ الإسلام – عصر الخلفاء الراشدين – وبتحقيق: عبد السلام تدمري.

وسيكون اعتمادي في هذا العرض بالأساس على ما في كتاب «تاريخ الإسلام» بالنسبة لعصر الخلافة الراشدة.

وأيضا على كتاب: «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين»، تأليف الدكتور أكرم ضياء العمري، وهو كتاب قيم ومفيد، تناول فيه العناصر التالية:

– الخلافة والخلفاء– الإدارة والقضاء– الاقتصاد– الثقافة والتعليم– أحوال العالم والدعوة الإسلامية ومنطلقاتها الفكرية والفتوحات – الفتن الداخلية.

المبحث الأول: تعريف بمصطلحات عنوان العرض:

عنوان هذا العرض يحتم الوقوف عند بعض مصطلحاته قصد استجلائها وبيانها، وهي:

١ - تعريف المنهج:

هو الأسلوب والطريق المؤدي لمعرفة الحقائق أو الغرض المطلوب، أو هو الوسيلة المؤدية إلى اكتشاف الحقائق والمعرفة العلمية.

٢ - تعريف التاريخ:

عرفه ابن خلدون بقوله: «إن فن التاريخ ...لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال...وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق»[١].

٣ - التاريخ الإسلامي:

هو فهم وتفسير الأحداث ضمن منهجية معينة حتى نأخذ العبرة والفكرة.

ومعرفة تاريخ المجتمع الإسلامي ضرورية لفهم واقعه، وعليه ولأهمية المنهج التاريخي، اهتم المسلمون بعلم التاريخ لتسجيل سيرة نبيهم وغزواته، وترجع بداية معرفة المسلمين بالتاريخ بحفظهم لأنسابهم وروايات القصاص عن أيام العرب قبل الإسلام، وزادت حاجة المسلمين للتاريخ بعد الهجرة وبعد

---

١ - المقدمة: ٣ ـ ٤

أن أصبح لهم دولة عاصمتها المدينة المنورة، واتخذوا حادث الهجرة بداية لتاريخ دولة الإسلام واعتمدوا على التقويم القمري.

٤ - تعريف المنهج التاريخي[١] وبيان خطواته:

أ _ تعريف المنهج التاريخي: عرف عدة تعريفات، منها أنه: «الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية، كأساس لفهم المشاكل المعاصرة، والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل»[٢].

كما عرف المنهج التاريخي أيضا بأنه:

أداة البحث في المشكلات أو الظاهرات الإعلامية في بُعدها التاريخي، أو هو سياق الوقائع والأحداث (وصف الماضي) ووصف الظاهرة الإعلامية وتسجيلها كما حدثت في الماضي، مثل تسجيل المؤسسات والوسائل الإعلامية والبارزين فيها[٣].

---

١ - من أعلام المنهج التاريخي:

-العلامة ابن خلدون (ت: ١٤٠٦ م): استخدم المنهج التاريخي في دراسته للعمران البشري في تحليله لمراحل تطور الدولة وهرمها.

-ماكس فيبر (ت: ١٩٢٠ م): استخدم كذلك المنهج التاريخي في دراسته لبعض الفرق الدينية البروتستنتية وتأثيرها في المجتمع آنذاك.

-كارل ماركس (ت: ١٨٨٣ م): استخدم هو أيضا المنهج التاريخي في دراسته لصراع الإنسان مع الطبيعة وتطور النظم في المجتمع عبر مراحلها التاريخية.

٢- مناهج البحث العلمي:نظريا وتطبيقيا، محمد جلاء إدريس:الجامعة الإسلامية العالمية، ١٩٩٨ ص ١٢٤ -١٢٥.

٣- البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، محمد عبد الحميد.- القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص٢٦٢-٢٦.

فالمنهج التاريخي إذاً هو منهج علمي مرتبط بمختلف العلوم الأخرى، حيث يساعد الباحث الاجتماعي، خصوصا عند دراسته للتغيرات التي تطرأ على البنى الاجتماعية وتطور النظم الاجتماعية في التعرف على ماضي الظاهرة وتحليلها وتفسيرها علميا، في ضوء الزمان والمكان الذي حدثت فيه، ومدى ارتباطها بظواهر أخرى ومدى تأثيرها في الظاهرة الحالية محل الدراسة ومن ثم الوصول إلى تعميمات والتنبؤ بالمستقبل.

ب - خطوات المنهج التاريخي:

عند دراسة ظاهرة أو حدث تاريخي يتوجب على الباحث إتباع الخطوات التالية:

تحديد مكان وزمان الواقعة التاريخية، الأشخاص الذين دارت حولهم الحادثة، كذلك نوع النشاط الإنساني الذي يدور حوله البحث. ثم جمع البيانات اللازمة والمتعلقة بالظاهرة من قريب أو من بعيد ... ثم نقد مصادر البيانات بالتأكد من صحة المعلومات التي جمعت، وذلك ليكون البحث أكثر مصداقية وأمانة، وفي ذلك قال ابن خلدون: «وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من

الأموال والعساكر، إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب ومظنة الهذر ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد»[1].

ولاشك أن من أهم ما يستفاد من هذا المنهج تمكيننا من حل مشاكل معاصرة على ضوء خبرات الماضي.

وهذا المنهج التاريخي الذي نتحدث عنه وعن أهدافه، نتساءل عن مدى التزام الإمام الذهبي به؟

الجواب هو أن الإمام الذهبي في حديثه عن عصر الخلافة الراشدة التزم بهذا المنهج حيث انتقى ما هو مشكلة كالخلافة والردة ... وحدد ذلك بشكل دقيق، كما أنه فسر المشاكل أو الظواهر، وذلك بعد جمعه للمعلومات، انطلاقا من روايات وأخبار وقف عندها متفحصا وناقدا ليستخلص النتائج... وقد أبان الذهبي عن قدرة عالية على فهم وتحليل القضايا، وله خلفية تاريخية على موضوع البحث..

وسنقف، بحول الله، على نماذج من ذلك في بعض عناصر هذا العرض.

---

١ - المقدمة: ٩ ـ ١٠

٥ – مسألة الخلافة زمن الخلفاء الراشدين[١]:

مبدأ الشورى والقرشية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم طرَحت مسألة الخلافة بشكل عام[٢]، وكانت أهم حدث في مسيرة التاريخ الإسلامي، وبسببها تشعب المسلمون إلى فرق وأحزاب، وبسببها نشبت الثورات وقامت الانتفاضات.

وقد أثيرت هذه المسألة إثر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفة الشخص الذي ينبغي أن يخلفه، وفي الصفات التي ينبغي أن تتوفر فيه، لتولي زعامة المسلمين وتصريف أمورهم في ظل الأحكام التي قررها الشرع الجديد، قرآنا وسنة متبعة.

والجدير بالذكر أن استحقاق أبي بكر للخلافة، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مجمع عليه، ووقع الخلاف في مأخذ الخلافة وأحقيته بها، على ثلاثة أقوال:

---

١ – مدة خلافة الخلفاء الراشدين:

أبو بكر الصديق سنتان ونصف توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن ٦٣عاما.

عمر بن الخطاب عشر سنوات وستة أشهر توفي في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣عاما.

عثمان بن عفان اثنتا عشر سنة توفي في ذي الحجة سنة ٣٦هـ عن ٨٢ عاما.

علي بن أبي طالب أربع سنوات وتسعة أشهر توفي في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٥٨ عاما. انظر عصر الخلافة الراشدة: ٧١– ٩٢.

٢ – أما خلافة أبي بكر فيتبين من خلال الروايات الصحيحة لاجتماع السقيفة ومبايعته خليفة أن الاجتماع لم يدم طويلا وحسم هذا الأمر بالبيعة الخاصة، ثم كانت البعة العامة في المسجد من طرف الناس.. انظر الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام: ٣ – ٨. وعصر الخلافة الراشدة: ٥٠ – ٥٤

- القول الأول: يرى الحنابلة وجماعة من أهل الحديث وجمهور الشافعية وبعض أهل الظاهر، أن الخلافة ثبتت بنص جلي، حيث أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى خلافته وأوضح أنه الأحق بها.

- القول الثاني: ذهب الحسن البصري وطائفة من أهل الحديث، إلى أن خلافة أبي بكر ثبتت بالدليل الخفي والإشارة، أي ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم من تقديم أبي بكر في الصلاة، وفي صحبته له، وفي بيان فضله ..

- القول الثالث: ذهب كثير من أهل الحديث وطائفة من الحنابلة وأهل الكلام، إلى أنها ثبتت بالاختيار واتفاق الصحابة.

وقد فصل الإمام ابن تيمية القول في أدلة كل فريق، مرجحا القول الأول[١].

هذا ومن المقرر أن أمور المسلمين تدار بالشورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٢] وأن على من يتولى أمورهم أن يشاور فيما يعرض له منها قبل أن يبرمها: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٣].

وأيضا في السنة مبدأ يقضي أن يكون الخليفة (الإمام) قرشيا، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»[٤].

---

١ - راجع منهاج السنة النبوية لابن تيمية:١ / ٥١٠ – ٥٢٥.

٢- الشورى: ٣٨.

٣- آل عمران: ١٣٩.

٤- متفق عليه.

إن مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام، كان مبدأ أصيلا في حياة العرب قبل الإسلام- بدوهم وحضرهم- فزعامة الجماعة ورئاسة القبيلة لا تورث حكما، وإنما بصفات لابد من أن تتوفر في من يتولى هذه، من شجاعة وكرم ونجدة ومروءة وأصالة رأي، والغاية من ذلك أن يكون على رأس الجماعة القادر على حمايتها، الرافع من شأنها، المطاع فيها بأصالة رأيه وحسن تصريفه لأمورها.

ويشهد على ذلك قول «عامر بن الطفيل سيد بني عامر»، حين آلت إليه سيادة بني عامر بعد موت أبيه:

وإني وإن كنت ابن سيد عامرٍ وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامرٌ عن وراثةٍ أبى الله أن أسمو بجدٍ ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب

أما مبدأ القرشية، فذلك أن القرآن نزل بلغة قريش، فهم أقدر على فهمه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم، كان من صميم قريش وفي الذروة العليا فيهم، ثم إنهم سدنة الكعبة التي يحج إليها العرب، فكانت لهم بهذه السدانة ميزة رفعتهم إلى مرتبة الشرف بين القبائل العربية.

على الرغم من أن الخلافة والإمامة بمفهومها العام هي محل قبول جميع المسلمين، إلا أنه عند دراسة خصوصيات هذا المفهوم عند كل من الفرق والمذاهب الإسلامية، تجد أن هذه المسألة كانت محور الخلاف الأكبر بين المسلمين

على مر العصور، وتسببت في حدوث أزمات لا تزال الأمة تعاني من آثارها وترسباتها لغاية يومنا هذا[١].

ولقد طبق المؤرخون المسلمون المنهج العلمي التاريخي في تناولهم لعصر الخلافة الراشدة، واضعين نصب أعينهم الضوابط العلمية التي ينبغي مراعاتها والتقيد بها، ويظهر ذلك نظريا في مقدماتهم لمؤلفاتهم، وعمليا في تناولهم للأحداث والوقائع التاريخية لهذه المرحلة:

يقول «محب الدين الخطيب»: (...في المنسوبين إلى الإسلام من يبغض حتى الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقلب جميع حسناته سيئات، وإن أحد الذين شاهدوا بأعينهم عدل عمر، وزهده في متع الدنيا، وإنصافه لجميع الناس، لم يستطع أن يمنع الحقد الذي في فؤاده على الإسلام من أن يدفعه إلى طعنه بالسكين دون أن يسيء إليه، وفي قوم طاعن عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات إلى يومنا هذا في تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والإنسانية والخير. وفي عصر عثمان من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذي خلق قلبه من رحمة الله، فاخترعوا له ذنوبا، وما زالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدقوها، وتفننوا في إذاعتها، ثم استحلوا سفك دمه الحرام، في الشهر الحرام، بجوار قبر أبي زوجتيه محمد عليه الصلاة والسلام...والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير، لكنه يريد من كل من يتحدث عن

١ - راجع عصر الخلافة الراشدة: ٩٨ - ١٠٥.

رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها، وأن يتقي الله في ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها، ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها.

يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات، ألا ينسى ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات. ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات، ألا يوهم الناس أنهم من الصالحين من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات.

إن أحداث المائة الأولى من عصور الإسلام كانت من معجزات التاريخ، والعمل الذي عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ولا أمة اليونان قبلها، ولا أمة من أمم الأرض بعدها.

وأما أبو بكر وعمر وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين، وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة، وطبقتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، خصوصا الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته ـ من أنفق منهم قبل الفتح وقاتل، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا. فإنهم جميعا كانوا شموسا طلعت في سماء الإنسانية مرة، وهذه الشموس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفاوت أقدارها، وتتباين في أنواع فضائلها، إلا أنها كلها كانت من الفضائل في مرتقى درجاتها)[1].

١ – تصدير محقق العواصم من القواصم: ٢ – ٤.

المبحث الثاني: منهج الذهبي في تناول عصر الخلافة الراشدة من خلال كتابه: «تاريخ الإسلام».

معلوم أن الإمام الذهبي مؤرخ كبير، يشهد لذلك العديد من مؤلفاته القيمة في هذا المجال، والتي فصل القول فيها من ترجم له من تلاميذه ومن الدارسين والباحثين، وهي تفيد وتغني في مجالها، وأيضا الذين حققوا كتبه، وبالأخص محقق كتاب «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، الدكتور بشار عواد معروف، الذي نوه من خلال مقدمة التحقيق بالقيمة التاريخية لهذا الكتاب، الذي يتميز بالدقة والتحليل والترجيح بين الروايات على ضوء ثقافته الموسوعية، وحسه التاريخي.

وقد أفدت من هذه الدراسة في استجلاء بعض الجوانب المتعلقة بموضوع العرض.

المطلب الأول: كتابه «تاريخ الإسلام» ومنهجه في انتقاء الحوادث والتراجم

تقديم:

كتاب تاريخ الإسلام من أضخم مؤلفات الذهبي، جعله في واحد وعشرين مجلدا، وقد حصر مادة ضخمة في تراجم الأعلام لمدة امتدت قرابة السبعمائة سنة في العالم الإسلامي، بحيث صار واحدا من الكتب التي يقل نظيرها ويعز وجودها في تاريخ الحركة الفكرية العربية الإسلامية....

ويُعدُّ هذا الكتاب غنياً بالمادة التاريخية العائدة إلى عصر الخلافة الراشدة، والكتاب كبير في حجمه كما هو كبير في قيمته العلمية.

وقد قام هو باختصاره، وسماه: كتاب دول الإسلام[1].

تناول فيه الحوادث والتراجم ابتداء من السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠ هـ.

ووضع خطة عامة للكتاب قسمه بموجبها إلى وحدات زمنية أمدها عشر سنوات أطلق عليها لفظ الطبقة (فتألف كتابه من سبعين طبقة).

ورتب الحوادث حسب السنوات(وجعل حوادث كل سنة منفردة بنفسها، ووضع لها عنوانا خاصا. وأما التراجم فاتبع فيها تنظيمات مختلفة.

---

١ – اختصار المؤلف، يظهر في عباراته الموجزة عندما يتعرض لسرد الأحداث ثم في اختزاله لأسماء من يترجم لهم في الوفيات أو من يرد ذكرهم ضمن الأحداث وإسقاطه لبعض الأعلام الذين أورد ذكرهم في الوفيات في كتابه الكبير....

إن عدم توافر تواريخ وفيات المترجمين في الفترة الأولى من تاريخ الإسلام بصورة دقيقة من جهة، وقلتهم من جهة أخرى[١] دفعت الذهبي إلى أن يدمج الحوادث والتراجم في العقود الأربعة الأولى من «تاريخ الإسلام»، عصر الخلافة الراشدة، فقد خلط الذهبي الوفيات بالحوادث في هذا العقد..-.

١ - منهجه في انتقاء الحوادث وعرضها:

واجه الذهبي مادة كبيرة، كان عليه أن ينتقي منها ما يراه حريا بالذكر جديرا بالتدوين، ولاسيما أنه اختصر- في الحوادث كثيرا قياسا بالمادة الضخمة من التراجم التي أوردها في كتابه[٢].

ونظرا لما للمرحلة المدنية من تاريخ الإسلام من أهمية في تأسيس الدولة الإسلامية، وأنها النموذج الأعلى، فقد أولاها الذهبي اهتماما عظيما، وفصل في حوادثها تفصيلا لا نجده إلا في التواريخ المتخصصة، بحيث احتلت السنوات

١ - اعتذر الذهبي عن قلة ما هو مذكور من التراجم في السنين الأولى من كتابه، فقال في أثناء السنة الأولى للهجرة:«والسبب في قلة من توفي في هذا العام وما بعده من السنين، أن المسلمين كانوا قليلين بالنسبة إلى من بعدهم، فإن الإسلام لم يكن إلا ببعض الحجاز أو من هاجر إلى الحبشة. وفي خلافة عمر - بل وقبل - انتشر الإسلام في الأقاليم، فهذا يظهر لك قلة من توفي في صدر الإسلام وسبب كثرة من توفي في زمن التابعين، فمن بعدهم». تاريخ الإسلام: ١/ ٢٠.
وقال في آخر سنة ٢٨ هـ من كتابه (٢ / ١٧٩): وقلّ من مات وضبط موته في هذه السنوات كما ترى.

٢ - لقد اعتبر الذهبي التاريخ من العلوم النافعة، واستعاذ بالله من علم لا ينفع، وأكد ضرورة الاطلاع على المهم منه، قال في المقدمة واصفا كتابه: «يعرف به الإنسان مهم ما مضى- من التاريخ» ١/ ٥

العشر التي قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة مجلدا كاملا من تاريخه، هو المجلد الأول.

وعني بعد ذلك بذكر أخبار حروب الردة وتكوين الأمة الإسلامية وحركة الفتوح والمساهمين فيها باعتبارهم المثل الأعلى للمجاهدين المسلمين، ولذلك احتلت هذه الفترة الزمانية القصيرة بالنظر لنطاق كتابه الزماني قرابة ثلث الحوادث المذكورة في جميع الكتاب.

وبعد ذلك اعتنى بأخبار الجهاد في سبيل الله، سواء أكان ذلك بالفتح أم برد المعتدين عن ديار الإسلام، فأورد من أخبار الجهاد الكثير وفصل فيه بما سمح له منهجه.

ولما كان الذهبي يولي التراجم عناية فائقة، فإنه لم يخلص الحوادث منها، فصار يذكر أسماء وفيات المشهورين ضمن الحوادث، باعتبار ذلك حدثا تاريخيا مهما من الواجب ذكره وتعيينه، بل إننا نجد حوادث بعض السنين ما هي إلا مختصر لوفيات كبار المترجمين...

لهذا فإن قلة المادة التاريخية التي قدمها الذهبي في الحوادث قياسا بالمادة الضخمة التي قدمها في التراجم تجعل من العسير علينا أن نميز له منهجا خاصا في هذا المجال، خالف فيه غيره من كتاب الحوليات الذين سبقوه، وقد لاحظنا تذبذبا في طريقته بين مدة وأخرى في أساليب العرض وفي كمية المعلومات التي يقدمها ونوعيتها.

٢ - منهجه في انتقاء التراجم وعرضها:

لقد كان الذهبي عالما واسع الاطلاع، غزير المعارف، ولاسيما في التراجم، وهو الحقل الذي ألف فيه مجموعة من الكتب وبرع فيه البراعة التي جعلت العلماء يجمعون على أنه «مؤرخ الإسلام»، وألف كتابه العظيم تاريخ الإسلام الذي احتوى على قرابة أربعين ألف ترجمة، وبذلك كانت لديه حصيلة ضخمة من التراجم ..

ويتبين من خلال الاطلاع على الكتاب ـ خصوصا عصر الخلافة الراشدة ـ أنه سار وفق خطة مرسومة في انتقاء التراجم، وكذلك انتقاء المادة المذكورة في كل ترجمة، وقد انطلق في كل ذلك من ميزانه الذي وزن به المترجم من جهة، والأخبار التي تجمعت لديه عنه من جهة أخرى.

ولعل أساس انتقاء التراجم هو كما يلي:

أ- الشهرة والعَلَمية: ذكر المشهورين والأعلام، ولم يذكر المغمورين والمجهولين، ومفهوم الشهرة يختلف من مؤلف إلى آخر استنادا إلى عمق ثقافته ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو عمل من الأعمال، أو أي شيء آخر، لذلك وجدنا أن سعة ثقافة الذهبي، وعظيم اطلاعه، وكثرة معاناته ودربته بهذا الفن قد أدت إلى توسيع هذا المفهوم بحيث صرنا نجد تراجم في السير مما لا نجده في كتب تناولت المشهورين، مثل «الكامل» لابن الأثير، و«البداية والنهاية» لابن كثير وغيرهما.

لقد اعتبر الذهبي شهرة المترجم واتخذها أساسا في التراجم، سواء أكانت شهرة المترجم في اسمه أم لقبه أم كنيته...[١].

والمعروفون بكناهم قد ذكرهم في آخر السنين. ولا ريب أن اشتهار عدد كبير من المترجمين بكناهم، هو الذي دفعه إلى إفرادهم بالترتيب في آخر السنوات بعد ذلك، ليسهل الكشف عنهم.

ولفظ الأعلام، بعرفه هو لا بعرف غيره، إذ لا ريب في أن هناك آلافا من التراجم التي ذكرها، لم يسمع بها كثير من المتخصصين في عصرنا. على أن الذهبي كان عارفا بجميع من ذكرهم في تاريخه، مطلعا على سيرهم ورواياتهم وشيوخهم وأوقاتهم، سوى حالات نادرة جداً.

وهذا الذي ذكرته عن الشهرة والعلمية هو الذي يفسر عنوان الكتاب، فهو كتاب في المشاهير والأعلام.

ب- الاختصار: أشار الذهبي إلى ضخامة المعلومات التي وقف عليها في مقدمة كتابه حينما قال: «إذ لو استوعبت التراجم والوقائع لبلغ الكتاب مائه مجلدة بل أكثر، لأن فيه مائة نفس يمكنني أن أذكر أحوالهم في خمسين مجلدا»[٢].

١ - ينظر: تاريخ الإسلام: ١ / ٥.

٢ - تاريخ الإسلام: ١/ ٥.

ومع كل هذا، فإن سعة التراجم في «تاريخ الإسلام» تتباين الواحدة عن الأخرى، فقد لا تزيد على بضعة أسطر[1]، وقد تبلغ أوراقا عديدة.

وقد راعى الذهبي في أكثر الأحايين قيمة الإنسان وشهرته بين أهل علمه أو مكانته بين أقرانه.

إن تقدير الإمام الذهبي للعلَم الذي يترجم له جعله يطول في ترجمته بسبب المكانة التي يحتلها، هي التي دفعته إلى تخصيص مجلد كامل للسيرة النبوية الشريفة، فسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي المثل الأعلى الذي يحتذيه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

وهذا الأمر هو الذي أدى به إلى تخصيص مجلد كامل عن سير الخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، لما تمثله من قدوة للمسلمين، ولما يستفاد من دراستها في شتى المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، ولما تحتله من المكانة في بناء الإنسان المسلم.

---

١ - مثال ذلك قوله: (أبو فضالة الأنصاري بدري. قتل مع علي يوم صفين. انفرد بهذا القول محمد بن راشد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وليسا بحجة.
أبو عمرة الأنصاري س- بشير بن عمرو بن محصن الخزرجي النجاري. وقيل اسم أبي عمرة بشير، وقيل ثعلبة، وقيل عمرو. بدري كبير. له رواية في النسائي. روى عنه ابنه عبد الرحمن بن أبي عمرة، ومحمد بن الحنفية. وقيل يوم صفين مع علي. قاله ابن سعد.) الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام: ٢٢٨ .

- محتويات تراجم الكتاب:

تختلف المادة الموجودة في ترجمة ما عن الأخرى في الكتاب، حسب طبيعة المترجَم له وقيمته العلمية، أو مكانته السياسية من جهة، وتتوحد في الأسس العامة لمكونات الترجمة من جهة أخرى، ولا نجد تناقضا في ذلك، فالذهبي يعنى في معظم التراجم بذكر اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته، ثم مولده(١)، أو ما يدل على عمره، ونشأته ودراسته وأخذه من الشيوخ الذين التقى بهم وروى عنهم، وأفاد منهم، ثم تلامذته الذين أخذوا عنه وانتفعوا بعلمه، وما خلف من آثار علمية أو أدبية أو اجتماعية، ويبين بعد ذلك منزلته العلمية، من خلال أقاويل العلماء الثقات فيه... ممن كان وثيق الصلة به، ثم غالبا ما ينهي الترجمة بتحديد تاريخ وفاة المترجَم، ويدقق في ذلك تدقيقا بارعا.

وتوفر هذه الأمور جميعا في الترجمة الواحدة، أو توفر بعضها، يعود إلى كمية المعلومات التي لديه.

والمؤلف في الوقت نفسه، يذكر في كل ترجمة أمورا متفرقة تتصل بطبيعتها، فهو يعنى مثلا بذكر الأوصاف الجسمية للخلفاء والملوك والأمراء[٢]... مما لا نجده في محتويات تراجم العلماء. كما يعنى بإيراد أعمال الخلفاء والأمراء والمتولين في تراجمهم، ويركز عنايته على ما قاموا به من نشر عدل أو بث ظلم أو سفك

١ - يعد تاريخ ولادة المترجم عنصرا مهما من عناصر الترجمة، وقد اعتنى به مؤلفو كتب التراجم ... فمن الطبيعي أن يهتم الذهبي اهتماما بالغا في تدوين تاريخ ولادة المترجم أو عمره التقريبي في تراجم كتابه...

٢ - مثلا قوله في زيد بن الخطاب: (وكان طويلا .. أسمر ..) الخلفاء الراشدون: ٢٨

دماء، وهو يعنى بإيراد نماذج من شعر الشعراء وغيرهم بما ينبئ عن حسن عقيدتهم أو سوئها ونحو ذلك.

ووصل بفن التراجم إلى المستوى الراقي الذي لم يصل إليه أحد من قبل.

- استيعاب المؤلفات السابقة:

القارئ لكتابه «تاريخ الإسلام»، لا يجد صعوبة في الوقوف على المصادر التي استفاد منها واستوعبها[١]، والتي أرّخت بالخصوص للعصر الراشدي، من أبرزها:

-كتب المغازي والسيرة النبوية ودلائل النبوة- وكتب التاريخ- وكتب السير- وكتب الأنساب والأخبار- والكتب الأدبية- وكتب الرجال- و كتب التراجم.

وهو لم يقتصر في نقله عن كتب التاريخ والأخبار والسير فحسب، بل نقل عن الكتب الستة وغيرها من مدونات الحديث وشروحه، وقد استقى مادته منها متفرقة في كتب وأبواب عديدة، منها فضائل الصحابة والفتن والجهاد وقصة الشورى[٢].

إضافة إلى عدد كبير من كتب الدواوين الشعرية، وكتب العقائد وغيرها[٣].

١- راجع مقدمته لكتابه تاريخ الإسلام : ١ / ٥ - ٩.

٢ - نفسه: ٣٠ ـ ٣٢

٣ - انظر عصر الخلافة الراشدة: ٢٩ – ٣٠.

وقد حاول جاهدا أن يفيد من جميع المؤلفات في كل نوع من الأنواع المذكورة أعلاه.

وهذه المصادر الأولية تقدم الروايات الأصيلة عن عصر الخلافة الراشدة.

المطلب الثاني: منهجه في نقل المادة التاريخية ونقدها وعرض الوفيات

١ - منهجه في ذكر موارد مصادره:

أولى الإمام الذهبي عناية دائمة بذكر موارد مصادره، بحيث يصل بالخبر في معظم الأحيان إلى من عاصره، ولذلك وجدنا الذهبي يعنى بنقل الإسناد الذي ذكره صاحب الكتاب الذي ينقل منه، ويبدو هذا الأمر على غاية من الوضوح في القسم الأول من تاريخه، فبالرغم من اعتماده أوثق المصادر، كالكتب الستة، فإنه لم يكتف بالقول مثلا: أورده البخاري أو أخرجه البخاري، بل كان يعنى بذكر سند البخاري.

فالذهبي كان من الذين اعتنوا بذكر مواردهم سواء أكان ذلك في القسم الخاص بالحوادث أم في القسم الخاص بالتراجم، ولعل ذلك يرجع لطبيعة تربيته ونشأته العلمية وعنايته الفائقة بالحديث وعلومه وتعاطيه الرواية وشدة كَلَفه بها، وآية ذلك أن رواية الحديث بالأسانيد والتدقيق في رواته تعد أرقى أنواع ذكر المصادر وأدقها، فكان من الطبيعي جدا أن يعنى الذهبي بذكر مصادره في تاريخه وبخاصة في القسم الخاص بالتراجم نظرا للصلة الوثيقة التي تربط الحديث بالتراجم التي لم تنشأ وتتطور إلا بسبب العناية بالحديث النبوي الشريف[١]، يضاف إلى ذلك الأهمية البالغة لضبط تراجم الرجال في تقويمه صحة المنقولات

١ - يراجع ما كتبه بشار عواد في كتابه: أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين.

سواء أكان ذلك في الحديث أم في غيره، حيث كانت قيمة الروايات وصحتها تعتمد أولا على قيمة ناقليها[1].

ومع ذلك فإن الذهبي لم يتبع دائما أسلوبا علميا واضحا في ذكر مصادره، فهو في معظم الأحيان يذكر المؤلف ولا يذكر كتابه، ثم نجده في كثير من الأحيان التي يذكر فيها اسم الكتاب لا يعنى بذكر عنوانه الذي وضعه له مؤلفه.

ورغم ذلك فإنه من الواجب القول: إن الذهبي كان يكتب للخاصة من العلماء بهذا الفن، ولهذا فهو يفترض فيهم المعرفة، وأن ما كان شائعا في تلك الأعصر قد يكون مغمورا في وقتنا هذا، يضاف إلى ذلك أن طبيعة المادة المنقولة تؤدي في كثير من الأحيان إلى معرفة اسم الكتاب عند أهل المعرفة.

لم يكن الذهبي يشير إلى مواضع النقول من الموارد التي ينقل عنها، وهو أمر طبيعي في عصر لم تعرف الطباعة فيه، وقام العلم على المخطوطات التي لم تتوفر منها إلا نسخ قليلة، ولذلك فإن اتباع الأساليب الحديثة في الإشارة إلى المصادر يبدو أمرا مستحيلا.

على أن الفكر التأليفي الإسلامي استطاع أن يحل هذا الإشكال في عنايته بتنظيم الكتب فنظمها حسب السنين، والأنساب والحروف والوفيات والطبقات ونحو ذلك فكان من السهل على من يريد الوقوف على نص أن يرجع إلى ذلك

---

١ – قال الشافعي: ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يستدل على الصدق والكذب فيه بأن يحدث المحدث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه. الرسالة: ٣٩٩.

الكتاب فيجده بسرعة إذا كان عارفا بتنظيمه، ولذلك رأينا الذهبي يعنى عند النقل عن مترجَم ما بذكر مكان الخبر إذا لم يكن في ترجمته من الكتاب الذي ينقل عنه.

٢- الدقة في النقل: لا نعني بدقة النقل هنا نقل النصوص الحرفي، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة، بحيث لا تجد اختلافا في المادة التاريخية عند المقارنة. وقد استعمل الذهبي طريقة النقل الحرفي تارة وأغفلها تارة أخرى، لكنه على أي حال كان دقيقا في نقله متثبتا منه.

وغالبا ما كان الذهبي يعنى بنقل النصوص بألفاظها في الحالات التي تستحق ذلك وتتطلبه، مثل أقوال العلماء في الجرح والتعديل، ونصوص الكتب التي يوردها في كتابه، والقصائد الشعرية، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة، فكان يؤكد ذلك بالألفاظ والعبارات الدالة عليها[1].

وقد ينتقى من النص أو يلخصه مع الإشارة إلى ذلك.

وفي الأغلب الأعم نجد الذهبي يحرر الأخبار والتراجم على طريقته، وخاصة في التراجم، فقد عرفناه فنانا تراجميا لا يتبع أسلوب أحد في عرض الترجمة الداخلي، بل يصوغها بنفسه، فهو حتى عند نقله عن مؤلف واحد يعيد تركيب الترجمة بشكل قد يختلف عن ترتيب الكتاب المنقول عنه.

١- نقل الذهبي عن الواقدي قوله في ترجمة سنان بن أبي سنان بن محصن الأسدي: (قال الواقدي: هو أول من بايع تحت الشجرة).

٣ - أسلوب العرض الأدبي:

إن عناية الذهبي بدراسة عدد ضخم من المؤلفات التاريخية والأدبية والحديثية واشتهاره بقوة الحافظة، جعلته يطلع على أساليب عدد كبير من الكتاب والمؤلفين على مدى عصور طويلة تنوعت أساليب الكتابة فيها، فأكسبه كل ذلك خبرة أدبية قوية.

وله أسلوبه المتميز في صياغة التراجم وأساليب عرضها يختلف عن الموارد التي ينقل منها، فله أسلوب علمي رصين دقيق، بعيد عن الزخرف اللفظي، لأن للكلمة مكانتها عند الذهبي، وهو الناقد الذي يختار العبارة المناسبة للتعبير عما يريد بدقة وأمانة، ويصف المترجم بالعبارة التي تزنه جرحا أو تعديلا.

٤ - منهجه في عرض الوفيات في هذا العصر:

بعد أن تكلم على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ضمن حوادث سنة ١١ هـ وقصة الأسود العنسي، وجيش أسامة، وشأن أبي بكر مع فاطمة وأخبار الردة وما جرى فيها، ذكر وفاة فاطمة وبعض الصحابة[1]، ولم يراع في ذكر هذه الوفيات أي نوع من أنواع التنظيم، لا من حيث قدم الوفاة ولا من حيث الترتيب على حروف المعجم غير ورودها في سنة ١١ هـ. أما في سنة ١٢ هـ فقد ذكر فيها من توفي في واقعة اليمامة من غير ترتيب، وذكر بعدها بعض الحوادث

١ - تاريخ الإسلام: ٢/ ٥ - ٣٥.

القصيرة[١]، ثم عاد إلى الوفيات ثانية، ثم ذكر بعض الحوادث، وهكذا نجد تباينا كبيرا في التنظيم.

ولعل ذلك راجع إلى إشكال اختلاف من ينقل عنهم الذهبي في سنة وفاة بعض الصحابة، ولا يستطيع أن يرجح، هذا جعل الذهبي لا يرتبهم حسب الوفيات، واختار العقد وسماه طبقة، بحيث تستوعب السنوات العشر كثيرا من مثل هذا الاختلاف.

وفي السنين التالية نجده يرتب بعض وفيات السنين على حروف المعجم[٢] ويدمج بعض الوفيات في سنين أخرى بالحوادث أو يذكرها في آخر الحوادث من غير ترتيب[٣].

وتنظيم الذهبي للتراجم حسب السنين جعله يدقق في تاريخ الوفيات، ويرجح إحداها على الأخرى عندما يختلف المؤرخون في ضبطها، ولابد أن يفعل ذلك، وإلا صعب عليه التنظيم وأشكل.

من كل هذا يتبين أنه لم يكن هناك تنظيم سار على نسق واحد على الإطلاق، في هذه المدة الممتدة حتى سنة أربعين هـ، ولم يكن للتراجم أي أثر واضح في الكتاب يميزها عن الحوادث.

---

١ - تاريخ الإسلام: ٢/ ٣٦ - ٤٧

٢ -كما هو في سنة ثلاثة عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، وثلاثين. انظر: الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام: ٣٨ وما بعدها.

٣ -كما في سنة ست عشرة، وسبع عشرة، وثمان عشرة، وتسع عشرة، وعشرين، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، واربع وعشرين، والسنوات: إحدى وثلاثين إلى أربعين....

وهذا هو الذي يفسر لنا سبب قراءة الصفدي لكتاب «تاريخ الإسلام» من أوله إلى آخر أيام الحسن... مع أن الصفدي لم يكن يريد أن يقرأ من هذا التاريخ على مؤلفه غير الحوادث كما يبدو[1]، لأن تاريخ الإسلام خلال هذه المرحلة، لم يكن غير تاريخ حوادث، فيه بعض الوفيات ولم يكن بالإمكان فصل الحوادث عن الوفيات.

ورغم ذلك فإن الإمام الذهبي في تناوله لعصر الخلافة الراشدة، انطلاقا من كتابه تاريخ الإسلام، قد تمكن من اتباع منهج تنظيمي يخفف فيه كثيرا من عدد الذين لم يستطع التثبت من تواريخ وفياتهم، ويزيل كثيرا من الإرباك الذي يتأتى من كثرة المذكورين في آخر الطبقة على التقريب، وذلك بأن ينظم بعضا من هؤلاء في وفيات السنة التي كان لهم آخر ذكر فيها، بعد أن صرح في غير موضع من كتابه بأنه لم يعرف وفياتهم يقينا، وأنه إنما كتبهم في وفيات السنة على التقدير.

إن اهتمام الذهبي الرئيس انصب دائما على التراجم، وذلك يعكس مفهومه الأصلي للتاريخ، لذلك احتلت التراجم حيزا كبيرا من تأريخه للعصر الراشدي.

ولعل اختفاء العلاقة[2] بين الحوادث والتراجم في كتاب «تاريخ الإسلام»، هو الذي جعل الذهبي لا يتبع نمطا واحدا في تجميع الحوادث، وجوز لنفسه أن يذكرها متتابعة كل عشر سنوات أحيانا.

---

١ – الوافي: ٢/ ١٦٣

٢ – العلاقة الوحيدة التي نجدها بين الحوادث والتراجم هي وجود بعض الإحالات من الحوادث إلى الوفيات، وبالعكس، لاسيما في تراجم الشخصيات السياسية التي أسهمت في الحوادث. (مقدمة بشار عواد لكتاب تاريخ الإسلام: ٩٠).

٥- اهتمامه بالنقد:

كان الذهبي من الذين أولوا النقد عناية فائقة بحيث أصبح يحتل مكانا بارزا في كتبه، وخاصة في كتابه «تاريخ الإسلام»، مارسه في كل أقسامه واعتبره جزء أساسيا من منهجه في الدراسة التاريخية[١].

انطلق الذهبي في هذه العناية وذلك الاهتمام من تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي الشريف رواية ودراية، الذي يؤكد ضرورة تبيين أحوال الرواة، ودرجة الوثوق بهم، بتمييز الصادقين منهم عن الكاذبين، وقد أكثر الإمام الذهبي من إيراد الأحاديث النبوية الشريفة في كتبه التاريخية وغيرها، ومنها كتابه «تاريخ الإسلام».. وقد عني دائما بالتعليق على هذه الأحاديث من حيث الإسناد والمتن ما استطاع إلى ذلك سبيلا، قال تلميذه الصفدي: (وأعجبني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام إسناد، أو طعن في رواته، وهذا لم أر غيره يراعي هذه الفائدة فيما يورده)[٢].

كما طبق الإمام الذهبي هذا المنهج النقدي في نقد الأخبار أيضا.

وكتابه «تاريخ الإسلام»- عصر الخلفاء الراشدين-، يستحق التنويه بسبب نقله عن عدد من المصادر الأولية المفقودة، فصار مصدراً بديلا عنها، كما أنه يعنى

---

١ - إن نقده للرجال يراعي فيه البحث عن عقائد المترجمين واتجاهاتهم ومذاهبهم، وقد أسهم بذلك في تقديم مادة غنية في معرفة عقائدهم ومذاهبهم، ومدى انتشارها بين الناس في فترة ما، أو في منطقة معينة.

٢ - الوافي: ٢/ ١٦٣.

بالحكم على عدد كبير من الروايات تصحيحا وتضعيفا[١]. والذهبي ناقد كبير، ولرأيه أهمية فائقة، فإنه- كما قيل- من أهل الاستقراء التام[٢].

ثم إن كتب علم الرجال تقدم تراجم لرواة الحديث، ومنهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين يمثلون جيل عصر السيرة والخلافة الراشدة، فهم الذين صنعوا البطولات التاريخية، وحققوا الأمجاد التي تمثلت في وحدة الأمة وتربيتها وفق مفاهيم واضحة، وتنظيمها سياسيا واجتماعياً واقتصاديا. ولاشك أن كتب معرفة الصحابة- أحد فروع علم الرجال- من أهم المصادر التي فيها تراجم حافلة للخلفاء الراشدين وللصحابة ومروياتهم وأحوال الرواة الذين نقلوا لنا أخبار عصر الخلافة الراشدة..[٣].

ومن هنا يتبين مدى فائدة هذه المكتبة الرجالية في نقد المادة التاريخية فضلا عن إمدادنا بمعلومات تاريخية جديدة.

---

١ - تاريخ الإسلام: ١/ ٣٣

٢ - نفسه: ٣٣ ـ ٣٤

٣ - الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٣، وابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٤٥، أسد الغابة لابن الأثير: ١ / ٥، وأكرم العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ١/ ٧١- ٧٢.

الخاتمة:

إن إيراد الإمام الذهبي لسير الصحابة وأعمالهم ودورهم في بناء التاريخ الإسلامي وحضارته في عصر الخلافة الراشدة، أفاد في التعرف على تاريخ هذا العصر وما يليه.

وكذلك في معرفة حركة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في العصور التي تلته. وهذه الفائدة خاصة بالأمة الإسلامية، التي تفردت بعلم الرجال ودراسة الإسناد، الذي هو طريق نقل حديث نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام.

ثم إن التاريخ ذاكرة الجنس الإنساني...وبها يتلقى جيل معين تجارب الأجيال السابقة عليه. كما يقول هرنشو[1].

وأيضا هناك فائدة تتعلق بتربية النشء وهي العمل الأسمى في وظائفه الإنسانية، ولن تكون تربية النشء صحيحة كاملة إذا جهلنا ماضي سلالة من نربي وحياة أبويه وأجداده[2].

والمسلك السهل لاجتذاب طلاب المؤسسات التعليمية هو طريق السيَر: أي حياة العظماء، ولاسيما الشخصيات ذوات الأثر الفعال ... وحكاياتهم المثيرة. «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»[3].

---

١ - علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي: ١٦٨ـ ١٦٩.

٢ - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي: ١٠/ ٣٥ـ ٤٠.

٣ - يوسف: ١١١.

والذهبي كان علَما من أعلام التاريخ الإسلامي الذين بينوا الفائدة التربوية للتاريخ، وإشاراته المتعددة في مؤلفاته تؤكد هذا المعنى، فتدوينه لسير الصحابة توخى منه التعرف على أخلاقهم وسلوكهم، وتضحياتهم في سبيل الله، وذلك قصد الاهتداء بهديهم، لأنهم خير من سلك سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم واقتدى به.

ثم إن الإسلام منهج ألزم الله به عباده، ولا يتحقق إلا بوجود القدوة فكان التأكيد على الجانب التربوي فيه وأخذ الأسوة من الصدر الأول، ومن قمم الإسلام في كل جيل مطلبا أساسيا لتحقيق الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكا.

هذا ما تيسر تسطيره، والموضوع يحتاج الى مزيد بحث ودراسة، من أهل التاريخ والدراية، فعلى الله قصد السبيل، هو حسبنا ونعم الوكيل، وهو المستعان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم مصادر ومراجع هذا العرض

- أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين. بشار عواد بغداد: ١٩٦٦.

- البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، محمد عبد الحميد- القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٠.

- بحوث في تاريخ السنة المشرفة، للدكتور أكرم ضياء العمري، نشر مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ - ١٣٧٤ م)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط. ١، ٢٠٠٣م.

- التاريخ لخليفة خياط، (ت: ٢٤٠ هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، النجف: ١٩٦٨.

- عصر الخلافة الراشدة، محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، تأليف الدكتور أكرم ضياء العمري، ط: ٢، ١٤١٩ - ١٩٩٨ م. مكتبة العبيكان - الرياض.

- علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١ : ١٩٧٣ م.

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تأليف القاضي أبي بكر بن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) حققه وعلق

على حواشيه: محب الدين الخطيب (١٣٠٣ - ١٣٨٩ هـ) من مطبوعات البنك الأهلي التجاري بالمملكة العربية السعودية. ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

- مقدمة ابن خلدون، ط: ٤، دار القلم بيروت.

- مناهج البحث العلمي: نظريا وتطبيقيا، محمد جلاء إدريس: الجامعة الإسلامية العالمية، ١٩٩٨.

- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، للدكتور أحمد شلبي: ١٠ / ٣٥ـ٤٠. ط٤ : ١٩٧٥ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مدخل	٤
المبحث الأول: تعريف بمصطلحات عنوان العرض	٦
تعريف المنهج	٦
تعريف التاريخ	٦
التاريخ الإسلامي	٦
تعريف المنهج التاريخي وبيان خطواته	٧
مسألة الخلافة زمن الخلفاء الراشدين	١٠
المبحث الثاني: منهج الذهبي في تناول عصر الخلافة الراشدة من خلال كتابه: «تاريخ الإسلام»	١٥
المطلب الأول: كتاب تاريخ الإسلام ومنهجه في انتقاء الحوادث والتراجم	١٦
تقديم	١٦
منهجه في انتقاء الحوادث وعرضها	١٧
منهجه في انتقاء التراجم وعرضها	١٩
- الاختصار	٢٠
- محتويات تراجم الكتاب	٢٢

- استيعاب المؤلفات السابقة	٢٣
المطلب الثاني: منهجه في نقل المادة التاريخية ونقدها وعرض الوفيات	٢٥
- منهجه في ذكر موارد مصادره	٢٥
- الدقة في النقل	٢٧
- أسلوب العرض الأدبي	٢٨
- منهجه في عرض وفيات عصر الخلافة الراشدة	٢٨
- اهتمامه بالنقد	٣١
الخاتمة	٣٣
أهم مصادر ومراجع العرض	٣٥